بكين..
موطن الفن والمبدعين

كزت أنظار العالم مؤخراً، على العاصمة الصينية التي دخلت حقبة جديدة من الانفتاح والنهضة مع افتتاح «منطقة ن ٧٩٨»، حيث أصبحت اليوم بفعالياتها التي تتصدر الأجندة الثقافية، من أشهر المعالم السياحية في بكين وأبرز جهاتها الثقافية. **كارولين ديركن** تلقي الضوء على أبعاد هذا الانفتاح الذي جعل من بكين ملاذاً للمواهب الفنية جديدة وساحة للإبداع.

حظيت بكين بعد افتتاح "منطقة الفن ٧٩٨" الفريدة من نوعها، باهتمام عالمي كونها أصبحت معرضاً جديداً للفن المعاصر بكافة أشكاله. إذ سرعان ما تحولت هذه المنطقة من مجمع صناعي قديم يضم مصانع يعود طرازها إلى خمسينيات القرن الماضي، إلى أحد أهم المرافق الثقافية والسياحية في المدينة خلال خمسة أعوام منذ تأسيسها.

لكن تأثير هذه الواجهة الفنية لم يقتصر على المشهد الفني في بكين فقط، بل طال أيضاً نمط الحياة على جميع الصعد، حيث أدت إلى انفتاح العاصمة الصينية على العالم من خلال استقطاب أصحاب صالات العرض العالميين والمواهب المغتربة إلى جانب عدد كبير من المواهب الجديدة في مختلف مجالات الفن.

تقول المصورة الصينية الشهيرة آن لي: "أصبحت بكين اليوم مكاناً رائعاً جديراً بالاهتمام، حيث المشهد الفني في بداياته، ما يسهل على الفنانين الناشئين الاتصال مع أعلام صناعة الفن هنا والتواصل مع شريحة واسعة من الجمهور مستخدمين أدوات وأماكن غير مكلفة، الأمر الذي يعد حلماً من المستحيل تحقيقه بالنسبة إليهم في أوروبا أو أميركا. إنه لأمر رائع أن تصبح جزءاً من ثقافة عالمية في واحدة من أسرع مدن العالم نمواً".

وعلى الرغم من دهشة آن لي الكبيرة بالنهضة الثقافية والتغيرات التي شهدتها بلدها أثناء اغترابها، إلا أنها ترى أن انتشار الفن الحديث بهذه الصورة الواسعة ليس إلا فخاً ينبغي الحذر منه. وتقول: "خلق الاهتمام المتزايد بالفن الحديث في بكين عالماً بوجهين: وجه ديناميكي يتمثل في الفئة اليافعة من الفنانين الطموحين من جهة، ويتمثل الوجه الآخر في "فقاعة بكين"، تلك الفقاعة التي تدافع فيها أثرياء الصين على شراء كل ما يجدونه في صالات المعارض الفنية لقاء مبالغ كبيرة من المال بهدف أن يصبحوا جزءاً من عالم الفن الجديد".

وتوضح آن لي أن ذلك يعني أنهم في الغالب يهدرون أموالهم على أعمال فنية تجارية تخلو من الإبداع. أضف إلى ذلك أن المواهب الناشئة تفقد إبداعاتها الخلاقة في خضم نسخ أعمال كبار الفنانين لأنها تدر عليهم مبالغ أكبر مما لو قاموا بإبداع أعمال أصيلة خاصة بهم. وتضيف لي: "يقف عالم الفن في بكين على أعتاب مرحلة جديدة من التطور، وذلك لأسباب عدة، منها انتهاء الألعاب الأولمبية حيث لم تعد أنظار العالم تتجه نحو الصين، فضلاً عن الأزمة الاقتصادية التي أدت إلى تخفيض الإنفاق على المشهد الفني. ومن جهة أخرى، بدأ الفنانون الجدد نقل معارضهم ومواقعهم خارج "منطقة الفن ٧٩٨". وهذا الأمر يعني أن المشهد الفني سيصبح متعاً مجدداً بالنسبة لبقية العالم وللفنانين أنفسهم أيضاً".

ويوافقها الرأي توني هوا، مصمم الأزياء الفيتنامي - الاسترالي الحائز على جائزة مرسيدس لتصميم الأزياء، الذي انتقل مع شريكه الفرنسي أورلين لكور من فرنسا إلى ريف بكين على مقربة من "منطقة الفن ٧٩٨". حيث يقول: "قد تكون شنغهاي المكان المثالي لتجارة رابحة وجمع المال. لكن ذلك لا ينبغي أن يكون هدفك كمصمم. لقد اخترت وشريكي مدينة بكين كونها أصبحت حالياً عاصمة الفن وملاذ الفنانين. إنها في بداية مرحلة الانفتاح وستكون واعدة بلا شك". ويضيف توني وهو يجول ببصره في أرجاء مشغله المليء بتصاميم مجموعة أزيائه الجديدة: "إنه المكان الوحيد في العالم الذي يمكنك فيه أن تعيش وتعمل بمساحة كهذه من دون أن تتعرض للإفلاس".

وقد استطاع المصممان توني ولكور أن يصنعا خلال بضع سنوات، اسماً بارزاً داخل بكين وخارجها، حيث شاعت ماركة التصاميم الخاصة بهما بين الطبقة الاجتماعية الثرية في الصين وما لبثت أن انتقلت إلى مستوى عالمي.

وعلى الرغم من الشهرة التي حققها هذان المصممان البارزان في موطنهما الجديد، إلا أنه توجّب عليهما مشاركة نجوميتهما على صفحات المجلات الكبرى مع منافسة أخرى لا تقل نجاحاً في مجال تصميم الأزياء، وهي الفنانة الشهيرة لو لي، الملقبة بملكة الأزياء، التي تعرض تصاميمها وتبيعها باسم ماركة "لو ١٢:٢٨".

تخرجت ليو في مدرسة بارسونز للتصميم في نيويورك وحازت على جائزة الكشتبان الذهبي. كما عملت مساعدة للمصمم جي كيه ريد، الذي يصمم أزياء كبار النجوم، مثل ريحانا ونيللي فورتادو، بالإضافة إلى حيازتها على لقب أفضل موهبة

يمين: معرض لمعاصر في «منطقة ٧٩٨» في بكين.

يسار: مصممة ء الصينية لو لي بملكة الأزياء، فتتحت دار أزياء ة بها.

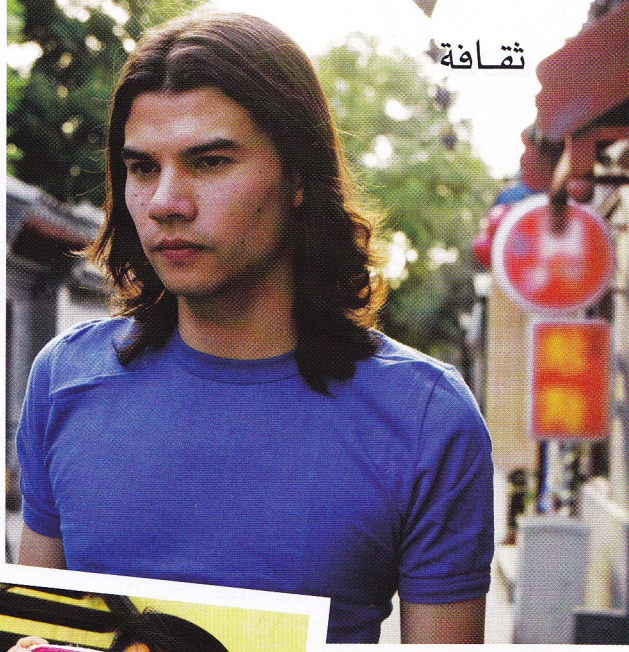

TOB PHOTOS/CAROLIEN DIRCKEN

إلى اليمين: نجم الروك الصيني - الألماني جوي فيرهوفن، والمصورة الشهيرة آن لي (الصورة داخل الإطار)، والفنانة شينغ جيه (إلى أسفل)، من المواهب البارزة التي اختارت بكين ساحة لإبداعاتها.

جديدة في الصين بحسب مجلة فوغ. تقول ليو: "لم أستطع البقاء بعيداً عن بكين. لدي الأفكار التي تجعلني أربط الصين بالغرب من خلال تصاميم تناسب الثقافتين. لقد اشتهرت الصين بثقافة التقليد، إلا أن آباءنا نجحوا في بناء شيء من لا شيء وذلك من خلال مراقبة الغرب فقط. لكننا لم نعد بحاجة إلى نموذج نقلده. فقد أصبح لدينا القدرة على استخدام أفكارنا في ابتكار ثقافة جديدة".

أما شينغ جيه الحاصلة على درجة جامعية في الفنون الحديثة والتلفزيون من فرنسا، فتعد ضمن المواهب البارزة الأخرى المغتربة عن وطنها، التي قررت العودة قبل سنوات والانطلاق بمهنة ناجحة. فقد استطاعت شينغ بمزجها الفريد بين فن التصوير التلفزيوني التجريدي والموسيقى الصاخبة، أن تجذب أنظار عدد كبير من رواد الفن خلال عرض أعمالها في متحف بكين للفن الحديث وفي صالات عدة في مختلف أنحاء بكين. ومع ذلك، فإن شينغ غير راضية عن هذه النتيجة، حيث تقول: "لا يمكنني أن أعتمد على كسب رزقي من خلال عروضي لفن التلفزيون التجريدي. فالناس لم تتمكن بعد من فهم انطباعي عن العالم الموازي، لأن أعمالي لا تعتمد على حوار أو كلمات". وتضيف ببعض الخيبة: "للفن أهميته في بكين، إلا أن الطابع التجاري يغلب عليه، ما يفرض عليك اتباع النزعة التجارية لتحصيل الرزق من خلال عرض أعمالك على الجمهور".

لهذا السبب اضطرت شينغ أن تعمل كمنسقة فيديو أو ما يعرف بفن "في جيه" في الحفلات الموسيقية الصاخبة. وتوضح شينغ: "هنا يضمحل فن التصوير التلفزيوني ويعلو صخب الموسيقى. وعلى الرغم من ازدهار هذا النوع من العمل، إلا أنني غير راضية عنه لأنه ليس الوسيلة التي أستطيع فيها التعبير عن نفسي، بل مجرد وسيلة لتحصيل الرزق".

غير أن شينغ لا تزال متفائلة، حيث تعتقد أنه يمكنها تحقيق حلمها خلال بضع سنوات، وتقول: "إنها مسألة وقت قبل أن يصبح الاهتمام بالفن كموهبة وليس كوسيلة لجمع المال. حينئذ سأتمكن من ممارسة موهبتي كفن وليس لإرضاء أذواق الجمهور".

وهناك نجم آخر جذبه المشهد الفني والساحة الإبداعية في بكين، فقرر العودة إليها قبل أربع سنوات. وهو نجم الروك الصيني – الألماني جوي فيرهوفن، الذي كان في غاية السعادة عندما شاهد الحشود الكبيرة في نوادي بكين الكبرى.

لم يجد جوي صعوبة في شق طريقه بنجاح إلى القمة، إذ سرعان ما شكل فرقته الموسيقية الخاصة في بكين مع مجموعة مختارة من الموسيقيين الصينيين، ليصبح مسرحه خلال زمن قياسي من أشهر مسارح الروك في العاصمة. إلا أن ما أثار دهشته هو اهتمام شركة "تاغتيم" بعروضه المنفردة، حيث يقول: "لم أكن أتوقع يوماً ما أن أصدر ألبوماً. لكنني الآن أنهيت جولة موسيقية في أنحاء الصين مع فرقتي الجديدة، ويمكنني القول باعتزاز إننا نحظى بشهرة واسعة تمتد إلى المناطق المحيطة ببكين".

ويعتبر وي – ستار أحد المواهب الفنية البارزة التي فُتحت لها بوابات النجاح على مصراعيها بعد بضعة أشهر فقط من التخرج، ويقول: "تتاح الفرص هذه الأيام للمواهب الفنية في الصين لعرض إبداعاتها في معارض ضخمة. ولحسن الحظ، فقد لاقت أعمالي الاستحسان خلال عرضها في ثلاث مدن كبرى عام ٢٠٠٥. كما أن جمهوراً كبيراً أعجب بإبداعي في عمل منحوتات ذات وجهين يظهر فيهما تعاقب الليل والنهار".

لم يكن وي – ستار قد غادر وطنه أبداً خلال دراسته التصميم الفني في تياجين. لكنه بعد سنة من تخرجه جال دول العالم وزار مختلف معارض الفن العالمية وأتيح له عرض أعماله الفنية على نطاق واسع. يقول وي – ستار بابتسامة عريضة: "لا أعتقد أنني قد أتمنى الحصول على حياة أفضل من الحياة الرائعة التي أحظى بها. وفي أوقات فراغي، أمارس هوايتي في صنع الدمى وفن الشارع، بينما أجول العالم وفي جعبتي كل هذا النجاح. لم أكن أتوقع قبل خمس سنوات أن النجاح الذي حققته في وطني سيقودني إلى نجاحات كبيرة عالمياً". ❖